يقـول اللـه عـز وجـل: ((**إِذَا السَّـمَآءُ انفَطَـرَتْ . وَإِذَا الْكَـوَاكِبُ انتَثَـرَتْ. وَإِذَا الْبِحَـارُ فُجِّـرَتْ . وَإِذَا الْقُبُـورُ بُعْثِـرَتْ . عَلِمَـتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّـرَتْ**)) هـذه أربعـة أشـياء إذا حصـلت علمـت النفس ما قدمت في أول عمرهـا ومـا أخـرت. وقـوله ((**إذا السماء انفطرت**)) يعني انشقت كما قال الله تبارك وتعالى: ((**إذا السماء انشقت. وأذنت لربها وحقـت**)). ((**وإذا الكـواكب انتـثرت**)) يعني النجوم صغيرها وكبيرها تنتثر وتتفرق وتتساقط لأن العالم انتهـى. ((**وإذا البحار فجِّرت**)) أي فُجر بعضها علـى بعـض وملأت الأرض **.** **((وإذا القبور بعثرت**)) أي أخرج ما فيها من الأمـوات حـتى قـاموا لله عـز وجـل، فبحصـول هـذه الأمـور الأربعـة ((**علمت نفـس مـا قدمت وأخرت**)) ((**نفس**)) هنا نكـرة لكنهـا بمعنـى العمـوم إذ أن المعنى: علمت كل نفس ما قدمت وأخرت، وذلك بما يُعرض عليها من الكتاب، فكل إنسان ألزمه الله طائره في عنقه ويخرج له يوم القيامـة كتاباً يلقاه منشوراً. اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليـك حسـيباً. وفـي ذلك اليوم يقول المجرمون: ((**مال هذا الكتـاب لا يغـادر صـغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها**)) ، فيعلم الإنسان ما قدم وأخر، بينما هو في الدنيا قد نسي، نحن الآن نسينا ما قد عملنا منذ أزمان بعيدة، لكن يـوم القيامة يعرض علينا عملنا فتعلم كل نفس ما قدمت وأخرت، والغـرض من هذا التحذير تحذير العبد م ن أن يعمـل مخالفـة لل ه ورسـوله؛ لأنـه سوف يعلم بذلك ويحاسب عليه. ((**يأَيُّهَا الإِنسَنُ مَـا غَـرَّكَ بِرَبِّـكَ الْكَرِيمِ**)) : ((**يا أيها الإنسان**)) المـراد بالإنسـان هنـا قيـل: هـو الكافر، وقيل: الإنسان من حيث هو إنسان؛ لأن الإنسان من حيـث هـو إنسان ظلوم جهول، ظلوم كفـار ((**إن الإنسان لظلـوم كفـار**)). فيقول الله عز وجل: ((**يا أيها الإنسـان**)) ويخـاطب الإنسـان مـن حيث هو إنسان بقطع النظر عن ديانته ((**ما غرك بربـك الكريـم**)) يعني أي شيء غرك بالله حيـث تكـذبه فـي البعـث، تعصـيه فـي الأمـر والنهي، بل ربما يوجد من ينكر الله عـز وجـل فمـا الـذي غـرك؟! قـال بعض العلماء: إن قوله تعالى: ((**ما غـرك بربـك الكريـم**)) إشـارة إلى الجواب، وهو أن الـذي غـر الإنسـان كـرم اللـه عـز وجـل وإمهـاله وحلمه، لكنه لا يجوز أن يغترّ الإنسان بذلك فإن الله يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، إذاً ما غرك بربك الكريم؟ الجواب: كرمه وحلمه هذا هو الذي غرّ الإنسان وصار يتمادى في المعصية، يتمادى فـي التكـذيب،

يتمـادى فـي المخالفـة. ((**الَّذِي خَلَقَـكَ فَسَـوَّاكَ فَعَـدَلَكَ**)) : ((**الذي خلقك**)) خلقك من العدم، وأوجدك من العــدم، ((**فسواك**)) جعلك مستوي الخلقة ليست يـد أطـول مـن يـد، ولا رجـل أطـول مـن رجـل، ولا أصـبع أطـول مـن أصـبع، بحسـب اليـدين والرجليـن، فتجـد الطويل في يد هو الطويل في اليد الأخرى، والقصير هو القصير، وهلـم جرّى، سوّى الله عز وجل الإنسان من كل ناحيـة مـن ناحيـة الخلقـة ((**فعدَلك**)) وفي قراءة سبعية ((**فعدَّلك**)) أي جعلـك معتـدل القامـة، مستوي الخلقة لست كالبهائم التي لم تكن معدّلة بل تسير على يــديها ورجليها، أما الإنسان فإنه خصّه الله بهذه الخصيصة. ((في أي صــورة ما شاء ركبك)) يعني الله ركبك في أي صورة شـاء، مـن النـاس مـن هو جميل، ومنهم من هو قبيح، ومنهم المتوسط، ومنهم الأبيض، ومنهم الأحمر، ومنهم الأسود، ومنهم ما بين ذلك، أي صـورة يركبـك اللـه عـز وجل علـى حسـب مشـيئته، ولكنـه عـز وجـل شـاء للإنسـان أن تكـون صورته أحسن الصور ثم قال ((**كلا بل تكذبون بالـدين**)) ((**كلا**)) حرف ردع، بل للإضراب يعني مع هذا الخلق والإمداد والإعداد تكذبون بالدين أي بالجزاء، وتقولون إن هي إلا حياتنـا الـدنيا نمـوت ونحيـا ومـا نحن بمبعوثين، فتكذبون بالدين أي بالجزاء، وربما نقول: وتكذبون أيضاً بالدين نفسه، فلا تقرّون بالدين الذي جـاءت بـه الرسـل والآيـة شـاملة لهذا وهذا؛ لأن القاعدة في علم التفسير وعلم شرح الحديث: " أنـه إذا كان النص يحتمل معنيين لا ينافي أحدهما الآخر فإنه يُحمـل عليهمـا " . ((**وإن عليكم لحافظين. كراماً كاتبين. يعلمون ما تفعلون**)) تأكيــد بمؤكــدين " إنّ " و" اللام " ((**وإن عليكــم لحــافظين**)) الإنسان عليه حافظ يحفظه ويكتب كل ما عمل، قال الله تعالى: **((ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد**)) . فعلى كل إنسـان حفظـة يكتبون كل ما قال وكل ما فعل، وهؤلاء الحفظة كرام ليسوا لئاماً، بــل عندهم من الكرم ما ينافي أن يظلموا أحداً، فيكتبوا عليه ما لم يعمــل، أو يهــدروا مــا عمــل؛ لأنهــم موصــوفون بــالكرم .((**يعلمــون مــا تفعلون**)) إما بالمشاهدة إن كان فعلاً، وإمـا بالسـماع إن كـان قـولاً، بل إن عمل القلب يطلعهم اللـه عليـه فيكتبـونه كمـا قـال النـبي عليـه الصلاة والسلام: (**من هم بالحسنة فلم يعملهـا كتبـت حسـنة، ومن همّ بالسيئة ولم يعملها كتبت حسنة كاملة**)، لأنـه تركهـا لله عز وجل والأول يثاب علـى مجـرد الهـم بالحسـنة. ((**إن الأبرار**

لفي نعيم)) هذا بيان للنهاية والجزاء ((**إن الأبرار**)) جمع بر وهم كثيرو فعل الخير، المتباعدون عن الشر ((**لفي نعيم**)) أي نعيم في القلب، ونعيم في البدن ولهذا لا نجد أحداً أطيب قلباً، ولا أنعم بالاً من الأبرار أهل البر، حتى قال بعض السلف: " **لو يعلم الملوك، وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف** "، وهذا النعيم الحاصل يكون في الدنيا وفي الآخرة، أما في الآخرة فالجنة، وأما في الدنيا فنعيم القلب وطمأنينته ورضاه بقضاء الله وقدره، فإن هذا هو النعيم الحقيقي، ليس النعيم في الدنيا أن تترف بدنيًّا، النعيم نعيم القلب. ((**وإن الفجار لفي جحيم**)) الفجار هم الكفار ضد الأبرار ((**لفي جحيم**)) أي في نار حامية -والعياذ بالله- ، ((**يصلونها يوم الدين**)) يعني يحترقون بها ((**يوم الدين**)) أي يوم الجزاء وذلك يوم القيامة. ((**وما هم عنها بغائبين**)) أي لن يغيبوا عنها فيخرجوا منها كما قال الله تبارك وتعالى: ((**وما هم منها بمخرجين**)) . لأنهم مخلدون بها أبداً ـ والعياذ بالله ـ. ((**وما أدراك ما يوم الدين. ثم ما أدراك ما يوم الدين**)) هذا الاستفهام للتفخيم والتعظيم يعني أي شيء أعلمك بيوم الدين؟ أي شيء أعلمك؟ والمعنى أعلم هذا اليوم، وأقدره قدره . ((وما أدراك ما يوم الدين)) . ((**يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله**)) : في يوم القيامة لا أحد يملك لأحد شيئاً لا بجلب خير ولا بدفع ضرر إلا بإذن الله عز وجل لقوله: ((**والأمر يومئذ لله**)) في الدنيا هناك أناس يأمرون من الأمراء، والوزراء، والرؤساء، والآباء، والأمهات، لكن في الآخرة ما في الأمر لله عز وجل، ولا تملك نفس لنفس شيئاً إلا بإذن الله، ولهذا كان الناس في ذلك اليوم يلحقهم من الغم والكرب ما لا يطيقون، ثم يطلبون الشفاعة من آدم، ثم نوح، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى، حتى تنتهي إلى نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم فيشفع بإذن الله فيريح الله العالم من الموقف، ((**والأمر يومئذ لله**)) . فإن قال قائل: أليس الأمر لله في ذلك اليوم وفي غيره؟ قلنا: بلى الأمر لله تعالى في يوم الدين وفيما قبله، لكن ظهور أمره في ذلك اليوم أكثر بكثير من ظهور أمره في الدنيا؛ لأن في الدنيا يخالف الإنسان أوامر الله عز وجل ويطيع أمر سيده، فلا يكون الأمر لله بالنسبة لهذا، لكن في الآخرة ليس فيه إلا أمر الله عز وجل. وهذا كقوله تعالى: ((**لمن الملك اليوم لله الواحد القهار**)) . والملك

لله في الدنيا وفي الآخرة، لكن في ذلك اليوم يظهر ملكـوت اللـه عـز وجل وأمره، ويتبين أنه ليس هناك آمر في ذلك اليوم إلا الله عز وجــل .